الحصار

مصائد الأسود

الأحابيل والفخاخ

الحب الذي يمحو إمكانيات التراجع .

وقد يكون أشد إيلاماً

ذلك القمقم الأسطوري

بجدرانه الزجاجية الشفافة

حيث تزيد الرؤية من مرارة الحرمان .

ومرة أخرى
الحب الذي يمحو إمكانيات التراجع .
علماً بذلك
آن للأناشيد آن تستعيد توازنها
مأخوذة بالتفاعلات
مسكونة بحمى الولادة .
ولنفرض جدلاً أن النصف الأدنى من الكأس
هو النصف الفارغ حقاً
هل يغير ذلك من مرارة الحقيقة :
نصف الكأس فارغ تماماً !
وعلماً بذلك
فانك ما زلت شديدة التفاؤل
أيتها السيدة التقية ،
وانني لأنحني إجلالاً
لأصص الحبق والورد
على شرفتك المقصوفة حديثاً
أنحني إجلالاً

للحسرة الجارحة
في تَعْديدك المشمس
على عتبة الموت
أنحني إجلالاً
لتنويمة الأطفال
التي ما فتئت ترددينها
على مسمع القبور الصغيرة
لأطفالك المقتولين حديثاً

انحني إجلالا
لغضون وجهك الصخري
لأصابع يديك الطويلة الباردة
المستلقية مثل سلاسل الجبال
على مرجل بركانك الآدمي .
لو أتيح لهم إعدامي
فسيكون رجائي الأخير
ان أطرح جبهتي المثقلة بالشوك

على ركبتك النبيلة
على ركبتك المدنسة حتى القداسة
بشهوات الصبا المنصرم
بين أشجار البرتقال
في ظلال الزيتون الداكنة
وتحت سقوف الطين المعشبة القاتمة
أيتها الآلهة المعتزلة
كيف ابثك لواعجي
في هذا الصخب المشبع بالرياء ؟
كيف أبلغ عطرك الشافي
في هذه العاصفة الدموية ؟
كيف اقترب
وقد تكدس من حولي
كل هذا الفولاذ
كل هذه الأحقاد الشائكة ؟
ولنفترض جدلاً
ان سنبلة جريئة

تمد رأسها الفدائي
عبر الأنقاض المتكاثرة كالجرذان
هل يمحو ذلك ثقل الحقيقة
ولزوجة الدم .
في صحراء بلا سنابل
سنابل بلا حنطة
صحراء بلا طلح
حيث السراب يعلن عصيانه

وانني لأنحني إجلالاً
في حضرة شفتيك المشققتين
أيتها السيدة الرؤوم
يا من يتقدم أبناؤك طوعاً
واحداً تلو الآخر
قرابين للحياة
على مذبح الموت .
احتفظ لنفسي بغضب الروح

بحق الغثيان
على أرصفة العذاب
المشبع بالكحول القاتلة
وأدرك انني ميت لا محالة
مختنقاً بقيئي الشخصي
على مزبلة الأيام العابرة ..
فيعلمون كم أحبهم
حباً يمحو قدرة الحصار
على إشاعة الفوضى في قلوب العشاق .
الخرائط أوهام
الملوك والرؤساء والبورصة
مضيعة للوقت
في هذا النهار المكتظ بدخان الحرائق
حتى ان الصيحة نفسها
لا تجد منفذاً
وإنك لتحتاجين إلى منشار هائل
حتى تمنحي عينيك العشوائين

بصيصاً للرؤية .
وكم أنت على حق
حين تعلنين
ان الرؤية مستشفى للأمراض العصبية
تمرينات رياضية للتخفف من السمنة
أسلوب علمي للإقلاع عن التدخين
والأفكار الضارة .

في هذا الزمن
يؤمن السحرة بأخاديعهم
بينما يبربر الكهنة سراً :
« اف ! متى تنتهي هذه اللعبة السخيفة ؟ »
وبصراحة تامة :
لست مطالبة بالبت في مسألة الايمان والإلحاد
ينبغي عليك ألاّ تقبلي بطرح السؤال في هذا الاتجاه
ففي يوم الدينونة هذا
لا يعوز الجماهير

غير ملائكة شعبيين
يستخفون بالمسيو پيير كاردان
ويكتفون بالبلو جينز والكوفية الصاخبة
في حفلات الكوكتيل الإلهية .

بعد ذلك
يضمنون الهبوط السليم
على خضرة السهول المنهوبة
يخفت الهدير المشمس
يرتفع ثغاء الحملان
حتى إن حفيف أجنحة الفراش
يعلن وجوده الحي المهذّب
على إيقاع طنين النحلة المرحة ..

بعد ذلك
يصفق المسافرون جذلاً
وأفسح المجال لقلبي

هذا الطفل العفريت
الراقص مثل نافورة
في هالة من صمت الكبرياء .
ولا ألوم نفسي أبداً
ذلك أن أنهار الزمن
صقلت حجارة وادي الروح
عبر سنوات العمر المفعمة بالأهوال

وآنذاك
نهتف مثل جوقة جيدة التنظيم :
ها نحن هنا !
أخيراً .. ها نحن هنا !

وآنذاك أخاطبك
أوجّه الكلام إلى قلبك
إلى يديك العاديتين
لا يعنيني من أمور الدنيا

سوى أن تفهمي هواجس روحي .
وماذا بشأن الروح ؟
هل ثمة روح في الخشب المحترق ؟
هل ثمة روح في الضباب الأهبَل
ذلك الذي تخلّفُهُ وراءَها العاصفة ؟
أضع راحتي على قلبي المتعب
أسمع نبضات الشعوب
استجمع الرمق الأخير في ناظري
فتنكشف قوارير لا تحصى
عناصر شتى
ومخدوعون لا حصر لهم
يزعمون القدرة الكاملة
على الإحتياط للتفاعلات كلها .
طالما أرجأت المواعيد
طالما اختلقت الأعذار للهولة المفترسة
أيتها الأم التقية
فلتغفر لك الأبواب المخلعة في الريح

ولتغفر لك الشرايين المفصودة بلا رحمة
ولتغفر لك كلماتك الطيبة
أيتها البلهاء ،
يا من يعلق الغزاة على أضلاعك
بنادقهم وخوذاتهم
ويقيلون الى ظلك الرحيم
فتمسِّدين شعرهم المطيب بالبارود
وتذرفين الدموع الحارة
على أيديهم الملطّخة بدم أبنائك .
كما تشائين
أحمل لك رأسي
على طبق من تاريخ السنابل
أروي لأحفادك
حكاية الوردة تحت التعذيب
وقصة الأطفال تحت السلاح .
كما تشائين
تهبين مغتصبيك ملجأ سياسياً

في ضريح زوْجك المحترم .
ستهدأ الأعاصير ذات يوم
والأطفال الذين لا يفهمون الآن
مغازى القصف الجوىّ
ستنمو معهم أطرافهم الخشبية
وسينشدون أغاني الوطن
بصوت جهوري .
يتزوجون
ينجبون أطفالاً بلا أطراف خشبية
يحضرون المباريات الرياضية للمشوهين
يوزعون الشهادات والحلوى
على الأولاد الشاطرين وعابري السبيل
ويذرفون دموعهم بصمت
في ركن الشيخوخة البارد
آنذاك
يدركون جيداً
مغازي القصف الجويّ ..

في هذه الأثناء
أبذر حسراتي
في الأرض البور
وأقطع المسافات المستحيلة
لألقي برأسي المقطوع
على ركبتك النبوية
أيتها الأم
أيتها العذراء لشدّة أحزانها !
على شاشة التلفزيون
٢٠ بوصة فقط
من أرض الله الواسعة
تنتثر أشلائي
يشخب الدم على وجه المذيع الأنيق .
هل تنفع الأكاذيب
ضمادا لكل هذه الجراح ؟
أيتها اللائبة بين الأنقاض
بحثا عن حَبل سرّة

ها هم أبناؤك
ينتشرون في الصحاري
واحات من الأمل
للقوافل الضالة .

بوركت سحابة الفصول
المقلعة على كل الآفاق
رجاء خالصاً للظامئين
بورك أبناؤك
بوركت الأيدي المطوّحة في الفضاء
على تمتمات الغضب المكتوم :
« إننا نبذل قصارى جهدنا !»

سيدة ميسورة الحال
جُرِّدتْ من أملاكها
أسيرة حرب
أطلقوا النار على آخر أبنائها
حديقة
اقتلعوا أزهارها

زيتونة اغتصبوا مستقبلها
وألقوا بثمارها
إلى قرود السيرك ..
هكذا ببساطة
فليتغلغل السمّ السوقطري
عميقاً عميقاً
في خلايا الأكاذيب الطازجة
ولتعلن عصيانها اللغات
إزاء التهريج الدموي
لخداع الزهور الميتة
فوق القبور الجماعية !
لنصمد قليلاً في مواجهة التفاعلات
ما لم نمسك الثور من قرنيه الذريتين
فستندلع أمعاؤنا
خطوطاً للتلفون العسكري
حبالا يمشي عليها السحرة
في ساحات الطفولة

وسياطاً تلسع ظهورنا .
لن يرضيك ذلك فاقتصدي أيتها الأم الطيبة
واحترزي للمفاجأة
الأسود يتربص بالأخضر
الأحمر يلتزم جانب الحذر
يتعارك الأزرق مع ذاته
ويظل ما فوق البنفسجي
وحيداً في قارورة الاختبار
أما الليلك
فمسألة قائمة بذاتها .
بريئاً من التعاريف
أغتسل بدمائي الساخنة
أخترق جدران الصوت والحرائق
أكتسح سدود الأكاذيب والانفجارات
واقبل عليك
أيتها النبية المعتزلة
أقبل عليك

مفعماً بالرجاء الأخير
قبل انبعاثي: أن أطرح جبهتي المثقلة بالشوك
على ركبتك المدنسة الطاهرة
مُفضياً بأسرار لوعتي
لقلبك النابض أبداً